الشـــاعر

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

[مهداة إلى الطائر الصامت الصديق
الشاعر الأستاذ المهدى مصطفى]

الى مثله تصبو عذارى الخواطر ... وفى يومه تصحو سكارى الزاهر
وفى كل همس حول معناه ضجة ... وفى كل معنى منه أقنوم ساحر
ألمّ على الأيام يسقى جديبها ... ويبنى جديداً فوق أطلال دائر
هو الشعر ماغنى ربيع ، وما بكى
خريف ، وما اخضلت عيون الأزاهر
تراتيل أنسام ، وتسبيح جدول ... وأنة موجوع ، ومصباح حائر
تشهقه أم الفجر معنى لضوئه ... وعاقره فى الليل صمت الدياجر
وودت بنات الزهر لو أن عرفها ... من النغم القدسى سبحة خاطر
وإن جهالا لم تسجله ريشة ... من الفن تهب للسوافى الثوائر
وإن حياة لا تحس جمالها ... لتكليف مصفود، وسفقة خاسر
هو الشعر ما كانت حياة ، وماجرى
على صفحة المقدور إلهام قادر
تغنت به الآباد من قبل عزفه ... كلاماً فجاب الدهر أول عابر
وأرهص للأوتار حتى إذا شدا
تجاوب « فرح » الكون فى برح ساهر
ودقت نواقيس الحياة ، وأطلقت ... رها بينها فى الأرض سحر المزامر
ونادى منادى السموات : أوقدوا ... كواكبها فاليوم ميلاد شاعر
فضج بأعراس السماوات عيدها .
وقر على شط الحياة شريدها
تجردت الأنغام فهى عوالم ... يترجم أسرار الوجود وجودها
وأقبل رب الشعر فى آى موكب ... تحف به حور السماء ، وغيدها
وطاف به جبريل قبل نزوله ... إلى العالم المحدود والأرض بيدها
فلما دنا من جوهر الشعر زلزلت
به الساحة الكبرى ، وماج أبيدها
وقيل له : ياشاعر الكون هذه ... هى الجذوة الأولى ، وأنت وقيدها
وغوث بالنار القديمة كاهن ... ومس بها الدنيا فضاء عمودها
ودب بهـا معنى جديد ، وأسرعت
بطائحها الجدباء واخضر عودها
وأطلع ساق الشعر فى البيد كرمة ... منغمة يحدو الزمان نشيدها
ونادى نبى قومه : تلك واحة ... على الأفق عذراء الجنان ولودها
فما آمنت بالشعر إلا لحونه
وران على الأرض العجوز جمودها
وقدر للدنيا الشقاء فألحدت ... وجدف غاويها ، وضل رشيدها
وأشرعت الأطماع فيها ضغائناً ... يجادل فى معنى السلام حديدها
وما كدر الأيام إلا ظماؤها ... وهل شاب ماء العين إلا ورودها
فلا طاب نفساً بالحياة شقيها ... ولا قر عيناً بالحياة سعيدها
أتنشد فى دنيا الحيارى من اهتدى ؟ !
أفى الحانة الحمراء ترتاد معبدا ؟ !
هرقت إذن — يا سادن الشعر — لحنه
وأهدرت للنافين ناياً مسهدا
هى الأرض طبع فى بنيها . ومن تكن
جبلته الأولى ترابا تمردا
وكم ضارب فيها بمكاز تائه ... يعد من الموتى ، وإن راح أوغدا !
وكانت حياة الناس لولا زحامهم ... عليها طريقاً للسلام معبدا
فلا تك نجما جاوز الليل وحده ... ببيداء فانثالت أشعته سدى
لمن شارق فى الأفق إن كنت لا ترى
وفيم هتاف الورق إن كنت جلمدا
هنالك والدنيا رواية ظالم ... وقصة مظلوم ، وتلفيق منتدى
وفى ليلة ظلماء ينسل برقها ... كما جردت كف الكمى المهندا
وفوق رباة يكمن الدهر عندها
وتبصر فيها — قبل مولده — غدا
دعا ربه الشادى ، وأوفى بشعره ... إلى العالم الثانى ، ومدّ له يدا
وكف عن الأوتار فهى نواشز ... كأعصاب محموم ألح به الصدى
وقال بنو الموتى : « لقد مات شاعر »
وكيف يذوق الموت من كان مخلدا
بقدر شعور المرء يمتد عمره ... وفى حمأة الأوهام يردى بنو الردى
وما مات شاد بالجمال ، وإنما ... إلى عالم الألحان عاد كما بدا
ومن فهم الأيام لحناً مجدداً ... تراءت له الأيام لحناً مجددا

طاهر محمد أبو فاشا